عبد الرحمن بن سمرة القرشي العبشمي

فاتح الأفغان

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 24 – ص 93 – 100

1394هـ - 1974م

- ٢ -

عبد الرحمن بن سَمُرَة القرشي العبشمي رضي الله عنه

فاتـــح الأفغـان (١)

الصحـــابي :

أسلم أبو سعيد عبد الرحمن بن سَمُرَة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف يوم فتح مكة (٢) المكرمة ، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه (٣) أربعة عشر حديثاً (٤) .

كان اسمه : عبد كلال ، وقيل : عبد كلول ، وقيل عبد الكعبة ، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماه : عبد الرحمن (٥) .

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لاتسأل الامارة ، فانك إن أعطيتها عن مسألة وُكّلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها . وإذا حلفت على أمرٍ ورأيت غيره خيراً منه ، فكفّر عن يمينك وائت الذي هو خير (٦) » .

شهد غزوة (مُؤتة) (٧) التي كانت في جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية

---

(١) ـ الأفغان : بلاد واسعة ، يحدها من الشمال بلاد تركستان ، ومن الجنوب بلوخستان ، ومن الشرق السند ، ومن الغرب هضاب خراسان ، انظر التفاصيل في المستدرك على معجم البلدان (١/ ٣٣١) .

(٢) ـ الأصابة (٤/ ١٦١) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٧) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٩٠) وتاريخ الأسلام للذهبي (٢/ ٢٣١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٩٦ـــ٢٩٧) ، وانظر جمهرة أنساب العرب(٧٤).

(٣) ـ الاستيعاب (٣/ ٨٣٥) وأسد الغابة (٣/ ٩٧) والأصابة (٤/ ١٦١) ونسب قريش (١٥٠) .

(٤) ـ أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ـــ ملحق بجوامع السيرة (٢٨٤) .

(٥) ـ الأصابة (٤/ ١٦١) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٩٠) ، وانظر المعارف (٣٠٤) .

(٦) ـ أسد الغابة (٣/ ٩٨) وتاريخ الأسلام للذهبي (٢/ ٣٢١) والمعارف (٣٠٤) والبلاذرى(٣٨٨) .

(٧) ـ تهذيب التهذيب (٦/ ١٩١) ، ومؤتة : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ١٩٠) وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨) .

(٦٢٩م) ، كما شهد تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم غزوة (تَبوك) (١) التي كانت في السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠م) ، وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد وتحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

جهـــاده :

١ ــ شهد عبد الرحمن فتوح العراق (٢) ، وأبلى في ذلك أعظم البلاء ، ممـا جعله محط آمال الفاتحين قادة ورجالا .

ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر بن كُرَيْز سنـة تسع وعشرين الهجرية (٣) (٦٤٩م) على (البصرة) وجمع له الجندين : جند البصرة وجند فارس ، استعمل عبدُ الله بن عامر عبدَ الرحمن بن سمرة على (سِجْستَان)(٤) سـنة إحدى وثلاثين الهجرية (٥) (٦٥١م) ، وذلك بعد انتقاض ونكث أهل (سِجْستَان) بالمسلمين وإخراجهم عامل المسلمين عليهم قسراً (٦) .

وسار عبد الرحمن إلى (سِجْستَان) على رأس جيشه حتى أتى (زَرَنج) (٧) فحصرها ، فصالحه مرز بانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف . ثم غلب عبد الرحمن على ما بين (زرنج) و (الكش) (٨) من ناحية الهند ، كما غلب من ناحية

---

(١) ـ الاصابة (١٦١/٤) .
(٢) ـ الاصابة (١٦١/٤) .
(٣) ـ أسد الغابة (١٩١/٣) والاصابة (٦٢/٥) وتاريخ أبي الفدا (١٦٧/١) .
(٤) سجستان : يحدها من الشرق المفازة بين مكران والسند ، ومن الغرب خراسان ، ومن الشمال الهند ، ومن الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس . انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٣٩) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) ومعجم البلدان (٣٧/٥) .
(٥) ـ انظر حوادث سنة إحدى وثلاثين الهجرية في ابن الأثير (١٢٩/٣).
(٦) ـ البلاذري (٣٨٦) ، وانظر ابن خلدون (١٠١٥/٢) وابن الأثير (١٢٩/٣) .
(٧) ـ زرنج : مدينة هي قصبة سجستان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٥/٤) والمسالك والممالك (١٣٩) .
(٨) ـ كش : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٤/٧) .

(الرخّج) (١) على ما بينه وبين بلاد (الداوَر) (٢) حصرهم في جبال(الزور)(٣) ثم صـــالحم . ودخل على (الزور) وهو صنم من ذهب له عينان ياقوتتـــان ، فقطع يده وأخذ الياقوتتين ، ثم قال للمرزبان : « دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردت أن تعلم أنه لايضر ولا ينفع » (٤) .

وسار عبد الرحمن قُدماً ، حتى فتح (بُسْت) (٥) و (كابُل) (٦) و (زابُلِستَان) (٧) وهي ولاية (غَزْنَة) (٨) ، ثم عاد الى (زرنج) ، فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فاستخلف عليها أمَير بن أحمر اليشكري وانصرف ، ولكن أهلها أخرجوا أُمَير بن أحمر وامتنعوا (٩) .

٢ — واضطرب أمر (سجستان) والأفغان في أيام على بن أبي طالب رضي الله عنه (١٠) ، لأن المسلمين كانوا في شغل شاغل عن الجهاد والفتح ، كل طاقاتهم تذهب بدداً في الفتنه الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فلما

---

(١) ـ الرخج : مدينة كبيرة من نواحي كابل ، انظر معجم البلدان (٤/ ٢٤١) .
(٢) ـ الداور : جاءت في ابن الأثير (٣/ ١٢٩) : الداون ، جاءت في ابن خلدون (٢/ ١٠١٥) : الدادين ، وهذا تصحيف . والداور : ولاية واسعة من أرض السند ذات بلدان وقرى ، مجاورة لولاية (رخج) و (بست) والغور ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ٢٨) و (٤/ ٤١٥) .
(٣) ـ الزور : جبل في بلاد الداور من أرض السند ، اطلق عليه اسم صنم بهذا الاسم ، انظر معجم البلدان (٤/ ٤١٤) وقد وردت في ابن الأثير (٣/ ١٢٩) : الزوز ، ، وهذا تصحيف .
(٤) ـ البلا ذرى (٣٨٦) وابن الأثير (٣/ ١٢٩) وابن خلدون) (١٠١٥) .
(٥) ـ بست : مدينة من أعمال كابل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ١٧٠) .
(٦) ـ كابل : اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى ، وهي ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠١) .
(٧) ـ زابلستان : كورة واسعة قائمة بذاتها جنوب بلخ وطخارستان ، انظر معجم البلدان (٤/ ٣٦٥) .
(٨)ـ غزنة : هكذا يتلفظ بها العامة ، والصحيح : غزنين ، ويعربونها فيقولون : جزنة . ويقال لمجموع بلادها : زابلستان ، وغزنة قصبتها . وغزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة طرف خراســان ، وهي الحد بين خراسان والهند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٨٩) .
(٩) ـ البلاذرى (٣٨٦) وابن الأثير (٣/ ١٢٩) وابن خلدون (٢/ ١٠١٥) .
(١٠) ـ البلاذرى (٣٨٧) .

استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان استعمل عبد الله بن عامر على البصرة ، فولّى ابن عامر عبد الرحمن (سجستان) . وأتاها عبد الرحن وعلى شرطته عباد بن الُحصَيْن ، ومعه الأشراف : عمرو بن عبيد الله بن مَعْمَر (١) وعبد الله بن خازم السّلمي وَقَطَرِيّ بن الفُجاءَة والمُهلّب بن أبي صُفْرة (٢) ، وذلك سنة ثلاث وأربعين الهجرية (٣) (٦٦٣م) ، فكان يغزو البلد قد كفر أهله ، فيفتحه عنوة أو يصالح أهله ، حتّى بلغ (كابل) ، فحصرها أشهراً ، وكان يقاتلهم ويرميهم بالمنجنيق حتّى ثلم سورها ثلمة عظيمة ، فبات عليها عباد بن الُحصَين يطاعن المشركين المدافعين عن (كابل) حتّى أصبح دون أن يقدر أولئك المدافعون على سد تلك الثغرة . وخرج أهل (كابل) في الغد إلى العراء يقاتلون المسلمين ، فضرب عبد الله بن خازم فيلاً كان معهم ، فسقط على باب المدينة التي خرجوا منه ، ولم يستطع أهل (كابل) أن يغلقوه ، فدخل المسلمون المدينة عنوة (٤) بعد هزيمة أهلها (٥) .

وسار عبد الرحمن إلى (بُسْت) ، ففتحها عنوة . وسار إلى (رّزان) (٦) ، فهرب أهلها وغلب عليها . ثم سار إلى (خُشّك) (٧) ، فصالحه أهلها . ثم أتى (الرُخّج) فقاتله أهلها ايضاً، ولكنه ظفر بهم وفتحها . وسار إلى (زابلستان) وهي

---

(١) ـ ابن الأثير (٤٣٦/٣) .

(٢) ـ البلاذرى (٣٨٨) والاستيعاب (٨٣٥/٣) وأسد الغابة(٢٩٨/٣) .

(٣) ـ ابن الأثير (٤٣٦/٣) وأسد الغابة (٢٩٨/٣) . أما في الاستيعاب (٨٣٥/٣) ، فيذكر أنه تولى سجستان سنة اثنتين واربعين الهجرية .

(٤) البلاذرى (٣٨٨) .

(٥) ابن الأثير (٤٣٦/٣) .

(٦) ـ رزان : يظهر أنها مدينة في منطقة كابل ، ولم أعثر على ذكرها في معجم البلدان .

(٧) ـ خشك : اسم بلدة من نواحي كابل ، انظر معجم البلدان (٤٤٢/٣) . .

(غزنة) وأعمالها ، فقاتله أهلها أيضاً ، وكانوا قد نكثوا ، ففتحها أيضاً .وعاد إلى (كابل) وقد نكث أهلها ، ففتحها (١) . وفتح عبد الرحمن مدينة (نَسْف) (٢) أيضاً (٣) .

وهكذا استعاد عبد الرحمن فتح (سجستان) والأفغان (٤) و كان قد غزا (خُراسان) وفتح بها فتوحاً (٥) .

الانســان :

تولى عبد الرحمن (سجستان) مرتين : الأولى في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد استعمله عليها عبد الله بن عامر سنة إحدى وثلاثين الهجرية (٦٥١م) ، وبقي على (سجستان) حتّى اضطرب أمر عثمان سنة خمس وثلاثين الهجريــة (٦٥٥م) ، .

وتولى (سجستان) مرة ثانية في ايام معاوية بن أبي سفيان ، وقد استعمله عليها عبد الله بن عامر سنة ثلاث وأربعين الهجرية (٦٦٣ م) وبقي على (سجستـان) حتّى عزله معاوية عنها سنة ست واربعين الهجرية (٦) (٦٦٦م) .

وهكذا كان مجموع ما حكم (سجستان) سبع سنين : أربع سنين في مــدة حكمه الأولى ، وثلاث سنين في مدة حكمه الثانية .

ومع ذلك ترك أثراً طيباً في نفوس سكان (سجستان) ، فقد سئل شيخ من أهلها عن ســيرة عمالهم فيهم ، فقيــل له : « مَنْ كان أفضلهم في أعينكم ؟ » ،

(١) - البلاذرى (٣٨٨) وابن الأثير (٤٣٦/٣-٤٣٧) وابن خلدون (١١/٣-١٢).
(٢) - نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٨) .
(٣) - ابن خلدون (١٢/٣) .
(٤) - دول الاسلام للذهبي (٢٦/١) والاستيعاب (٨٣٥/٣) وأسد الغابة (٢٩٨/٣) ونسب قريش (١٥٠) ومجمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٣٤٨) .
(٥) - تهذيب التهذيب (١٩١/٦) .
(٦) - اسد الغابة (٢٩٨/٣) والأصابة (١٦٢/٤) .

فقال : « عبد الرحمن بن سمرة » (١) .

هذا بالإضافة على ماتركه عبد الرحمن من أثر عظيم في الفتوح .

وقد عاد عبد الرحمن إلى البصرة بعد عزله عن (سجستان) فتوفي بها سنة خمسين الهجرية (٢) (٦٧٠م) . وقيل سنة إحدى وخمسين الهجرية (٣) (٦٧١م) وصلى عليه زياد بن أبي سفيان (٤) ، وله عقب : سبعة أولاد من الذكور (٥) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً كما ذكرنا ، كما روى عن مُعاذ بن جبل (٦) ، وروى عنه عبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن البصري وغيرهم (٧) .

تنسب اليه سكة البصرة ، وكان متواضعاً يضرب المثل للناس بأعماله لا بأقواله ، ومن الأمثلة على ذلك أنه إذا كان اليوم المطير لبس برنساً وأخذ المسحاة وكنس الطريق (٨) .

وكان ورعاً تقياً نقياً ميموناً وفياً كريماً ، وقد بنى له غلمانه الذين قدم بهم من سبي (كابل) مسجداً في قصره بالبصرة على بناء (كابل) (٩) .

والظاهر أنه اعتزل الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ،

---

(١) ـ انساب الاشراف (٥٠٤) .

(٢)ـ دول الاسلام للذهبي (٢٦/١) والبلاذرى (٣٨٨) وابن الأثير (٤٧١/٣) والاصابة (١٦١/٤)، وانظر طبقات ابن سعد (١٤/٧) وأسد الغابة (٢٩٨/٣) وتهذيب التهذيب (١٩١/٦) وتاريخ الاسلام للذهبي (٤٣١/٢) .

(٣) ـ الاستيعاب (٨٣٥/٣) وانظر الأصابة (١٦١/٤) وأسد الغابة (٢٩٨/٣) وتهذيب التهذيب (١٩١/٦) وتاريخ الأسلام للذهبي (٤٣١/٢) .

(٤) ـ البلاذرى (٣٨٨) .

(٥) ـ جمهرة أنساب العرب (٧٤) .

(٦) ـ الأصابة (١٦١/٤) وتهذيب التهذيب (١٩١/٦) .

(٧) ـ الأصابة (١٦١/٤) وأسد الغابة (٢٩٨/٣) والاستيعاب(٨٣٥/٣)وتهذيب التهذيب (١٩١/٦) .

(٨) ـ أسد الغابة (٢٩٨/٣) .

(٩) ـ البلاذرى (٣٨٨) .

فلم يرد له ذكر في معاركها الحربية والسياسية . لذلك اختاره معاوية واختار معه عبد الله بن عامر الذي اعتزل الفتنة الكبرى أيضاً وأوفدهما في سفارة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليفاوضاه في تسليم الخلافة إلى معاوية ، فوافق الحسن على ذلك ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين الهجرية (١) (٦٦١م) .

لقد كان عبد الرحمن داعية سلام ووئام بين المسلمين ، لذلك بقي على الحياد في أيام الفتنة الكبرى - حتى جمع الله شمل المسلمين .

وكان إدارياً حازماً ، فقد سئل شيخ من أهل (سجستان) عن عمالهم ، فقيل له : « مَنْ كان أعظمهم في أعينكم ؟ » ، فقال : « عبد الرحمن بن سمرة » .(٢)

القائد :

أهم ماتتميز به قيادة عبد الرحمن ، هي : سرعة القرار ، وسرعة التنفيذ ، وسرعة الحركة .

لقد استعاد فتح (سجستان) مرتين وفتح الأفغان التي كان الأقدمون يعتبرونها جزءاً من (خراسان) واستعاد فتحها بعد انتقاضها . و (سجستان) والأفغان مناطق شاسعة منيعة ليس من السهل فتحها أو استعادة فتحها بقوات قليلة نسبياً وفي وقت قصير .

إنه قائد متميز بدون شك ، وكانت عقيدته الراسخة وإيمانه العميق وشجاعته النادرة وإقدامه الثابت أركاناً أساسية لقيادته .

هذا بالاضافة إلى عقليته المتزنة وشخصيته القوية وإرادته الصلبة وماضيه الناصع المجيد في الجهاد وخدمة الاسلام وتجربته الطويلة في الحروب .

---

(١) - ابن الأثير (٣/٤٠٤-٣٠٥) .
(٢) أنساب الأشراف (٥٠٤) .

لقد تهيأت له أسباب ومزايا القيادة : طبع موهوب ، وعلم مكتسب ، وتجربة عملية في القتال ، لذلك حالف النصر راياته ، فكان من القادة الذين لم يذوقوا طعم الهزيمة في حياتهم القتالية .

إنه من الطراز الرفيع للقادة العرب المسلمين في الصدر الأول للاسلام وفي أيام الفتح الأسلامي العظيم المجيدة .

عبد الرحمن في التاريخ :

يذكر عبد الرحمن ، كلما ذكر فتح (سجستان) والأفغان ، وذكر رسوخ الاسلام في هذين البلدين الكبيرين .

لقد ثبتت الأفغان بخاصة أمام تيارات الغزاة الجارفة في مختلف العصور ، وكان الأفغان من بين الممالك القليلة التي حافظت على استقلالها أمام تيارات الاستعمار الغربي والشرقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ولا يزال الأفغان ثابتاً أمام تيار الاستعمار الشرقي والغربي - على الرغم من موقعه الجغرافي الحساس بين الهند وإيران من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة أخرى .

لقد ثبت الأفغان لأسباب ثلاثة : عقيدة أهله الراسخة ، وبطولتهم النادرة ، ووعورة بلادهم .

وقد كان عبد الرحمن من أوائل مَنْ نشر الاسلام في تلك الربوع .

كما أن بطولة شعب الأفغان ووعورة أرضه تزيد في إعجابنا بقيادة عبد الرحمن لأنه استطاع أن يفتح الأفغان بقوات قليلة نسبياً ووقت قصير .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الصحابي الجليل ، عبد الرحمن بن سَمُرَة القَرشي العبشمي .

محمود شيت خطاب

مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع والعشرون



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

فهرس المجلد الرابع والعشرين

من مجلة المجمع العلمي العراقي